السياسيون العرب في فلسطين منذ وعد بلفور وحتى الكتاب الأبيض

Ann Mosely Lesch, *Arab politics in palestine, 1917 — 1939,* Ithaca, N.y: Cornell university press, 1979, p.

هذه الدراسة، عن السياسيين العرب في فلسطين، تغطي المرحلة ما بين إعلان وعد بلفور وصدور الكتاب الأبيض عام ١٩٣٩، وهي تتناول البنى السياسية، وسلوك عرب فلسطين في ظل الانتداب البريطاني.

اعتمدت الدراسة، في مصادرها، على نماذج من التطورات السياسية والقومية في العالم الثالث خلال عقد الستينات، كما كتبها لوسيان باي؛ روبيرت إيمرسون وكارل دوتش. ومن ذلك، أن الحركة الوطنية الفلسطينية مرت في ثلاثة أطوار:

١ ــ الطور «الليبرالي»، وقد تعامل فيه السياسيون مع الحاكم المستعمر بـ«تعابير المنطق والقانون» (إيمرسون)، وهؤلاء هم جيل القادة الذين عايشوا الحكم العثماني في عقده الأخير، والانتداب البريطاني في عقده الأول، وركزوا نشاطهم في البرلمان العثماني، كوسيلة لكسب الرأي ضد المظالم اللاحقة بالعرب، وضد التقدم الصهيوني إلى فلسطين.

٢ ــ الطور الثاني، بدأ بعد التيقن من محدودية الطروحات «الليبرالية». في هذا الطور عبَّأ السياسيون «الراديكاليون» عدداً أكبر من الناس، وشكلوا أحزاباً سياسية ضمت في عدادها مواطنين عاديين من طبقات محدودة المعرفة. وقد أضاف هؤلاء إلى اسلوب الالتماس والتفاوض مع السلطة الاستعمارية، اسلوب العصيان المدني.

هنا، تناقش المؤلفة بالتفصيل تقصير الحركة الوطنية خلال هذه المرحلة، بقيادة الهيئة التنفيذية العربية التي عانت الصراعات الداخلية، نتيجة التنافس بين وجوه العائلات، واقتصار الاهتمام على هدف الاستقلال السياسي على حساب البعدين الاجتماعي والاقتصادي للنضال الوطني. مع ذلك، فقد اتسم الطور الثاني، في نهاية العشرينات، بالتحول من التنظيم والتعبئة على مستوى فوقي ــ من جانب التنمية ــ إلى التعبئة التحتية، التي شملت الشباب والعمال والكَشَّافة ومجموعات من الطبقة المتوسطة.

٣ ــ مع الإرباكات الاجتماعية والاقتصادية التي تزامنت مع ازدياد الهجرة اليهودية، وتركيز الصهيونية على «غزو الأرض والأيدي العاملة» بدأت مرحلة ثالثة من النضال الوطني الفلسطيني. فقد تحول الفلاحون المعدمون إلى تكتل بروليتاري يعيش في الأكواخ وتحدّوا، مع الحرفيين والتجار الخائفين من المنافسة اليهودية، القيادة القائمة، مما دفع بها إلى زيادة التكتيكات العسكرية في أواسط الثلاثينات. وهؤلاء كانوا العمود الفقري للإضراب العام سنة ١٩٣٦، ولانتفاضة ١٩٣٧ ــ ١٩٣٩.

في تلك المرحلة لم يُعر التلاحم الوطني أهمية، وذلك بسبب استمرار التنافس وصراع المصالح الطبقية. وكان عزالدين القسام، الذي كسب حضوراً سياسياً في أوساط الشباب والفلاحين والعمال الفقراء، مناهضاً في انتقاداته